

وكان الوقتُ صيفاً : أُرسلتِ الشَّمْسُ أَشْعَثَهَا إِلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهَا شَواظٌ مِنَ اللَّهَبِ ، وَامْتَنَعَتْ عَلَى الْحَافِي وَالْمُنْتَعِلِ ، وَكَادُ يُزْهِقُ الْأَرْوَاحَ ! فِي هَذِهِ النَّارِ الْمُتَقَدَّةِ سَافَرَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْمَظْلُومَةُ . حَتَّى بَلَغَتْ بَغْدَادَ وَصَلَتْ بِغْدَادَ ، وَالْمَاءَ الْعَذْبَ السَّلْسِيلَ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَرَصَّدَتْ الْمَأْمُونُ حَتَّى خَرَجَ ، فَرَأَى امْرَأَةً بِائِسَةً ، وَلَكِنَّهَا بَادَرَتْهُ بِقَوْلِهَا فِي وَهْنٍ وَضَعْفٍ : السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَارْجُو اللَّهَ أَنْ يَعِينَنِي عَلَى قَضَائِهَا . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، « ثُمَّ أَمَرَ بَعْضُ أَعْوَانِهِ أَنْ يُعْنَى بِأَمْرِهَا ، مَضَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ قُدَّامِ الْمَأْمُونِ رَاضِيَةً مَوْفُورَةً ، وَعَنْ يَسَارِهِ حَاجِبُهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ . وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ الشَّاكِيَّةُ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحِبَ بِهَا ، « فُوجِيَ الْعَبَّاسُ بِقَوْلِ الْمَرْأَةِ وَشَكَاوَاهَا ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ قَدْ رَأَاهَا ، « ثُمَّ طَلَبَ إِلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَعْرِضَ شَكَاوَاهَا . وَكَيْفَ اعْتَدَى أَعْوَانُ الْأَمِيرِ عَلَى ضَيْعَتِهَا ، وَشَرَدَوْهَا وَبَنَاتِهَا مِنْهَا وَأَعْلَقُوا فِي وُجُوهِهِ أَبْوَابَ سُورِهَا ، وَتَرَكَوْهُنَّ بِغَيْرِ مَأْوَى وَأَصْبَحْنَ حَائِرَاتٍ مَقْهُورَاتٍ ، لَا يَجِدْنَ بَيْنًا يَسْتُرُهُنَّ ، وَتَمْنَعُهُنَّ كَرَامَةً أَنْفُسِهِنَّ أَنْ يَسْتَعْطِفْنَ النَّاسَ عَلا صَوْتِ الْمَرْأَةِ عَلَى صَوْتِ الْأَمِيرِ ، وَتَذَكَّرَ الْأَمِيرُ مَا فَعَلَهُ أَعْوَانُهُ ، وَلَكِنْ الْحَاجِبُ قَالَ لِلْمَرْأَةِ : « مَهْلًا يَا امْرَأَةً ، إِنَّكَ تَتَكَلَّمِينَ عَنِ الْأَمِيرِ ، فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَرَ بِالْكِتَابَةِ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى قَرْبَتِهَا ، فَلَا خَيْرَ فِي الْأَمِيرِ إِذَا سَكَتَ عَلَى الظَّلَمِ